رواية

هلال لم يكتمل

تامر محمد عزت

هلال لم يكتمل

الكتاب : هلال لم يكتمل

المؤلف : تامر محمد عزت

تاريخ النشر : يوليو ـ 2015

تصميم الغلاف : إبراهيم عيسي

محتوي الكتاب : رواية قصيرة

دار النشر : عصير الكتب للنشر الإلكتروني

" أن تعيش في الحياة بدون رغبة أو خوف أو ألم

بذلك تكون قد فقدت جزءاً كبيراً من إنسانيتك

وفي تلك الحالة لن تفكر إلا في نفسك فقط "

قبل سرد القصة

أعددت اتصالا هاتفيا بصديقي " هلال " بعد مرور عشر سنوات من الفراق لأخبره بوجودي في المملكة السعودية للمرة الثانية ، أصبح التواصل بشكل دائم من خلال الانترنت ، وعلم بأنني أكتب قصص قصيرة وروايات ، فسرد عليّ قصته ، و بالرغم من أنني عرفته لمدة عامين فقط و ظل صديقا لسنوات بعدها ، إلا أنني لم أكن أعلم بحقيقة ما يخفيه ، استأذنته أن يكون لخيالي دور في قصته وقلمي يسطر ما فيها من رغبة وألم وخوف

سمعت ضحكته المميزة وقال : عمّلك بطّال يا مصري ، ألا زلت من هواة الفضائح العلنية ؟

أجبته : يا صديقي اليمني ، لقد كنت معك في " أبو عريش " لمدة عامين ولم أعرف عنك أي شئ وخلال خمسة عشر دقيقة رويت قصتك العجيبة ، سنعرضها على القارئ وهو يقرر

قال : سأرسل لك رسائل بها أفضل . . . أعطنا فرصتنا يا مصري

قلت : إذن فلتنطلق يا صديقي

الرغبة

الرسالة الأولي

أنت من دفعني للعودة إلي الخلف لسنوات بعيدة كنت قد نسيتها أو بمعني أدق (أتناساها) فالماضي غريب كعادته لأننا لا نصنعه إنما نعيش فيه بدون إبداء الرأي ، فقد كنت كالقمر المظلم موجوداً ولكن غير مرئياً ، وما دفعني لكتابة قصتي هو أنت يا صديقي لأنك ستعرضها للناس وأيضا لسبب آخر مجهول بالنسبة لي الآن ، قد أسطره لاحقا . . . . فلنبدأ بدون مقدمات طويلة :

أنا اسمي هلال دُخن ، عمري الآن ثلاثون عاما ، يمني الجنسية ، ولكنني وُلدت في المملكة العربية السعودية ، في محافظة " أبو عريش " جنوب المملكة والقريبة من محافظة شهيرة اسمها " محافظة جيزان "

اعتبرت أبي من المهاجرين من اليمن إلي السعودية قبل الزواج من والدتي ، شأنه شأن جيله ، كان السفر إلي السعودية قديما بدون أي تأشيرة دخول ، كل يمني يستطيع الحياة بالسعودية والسفر أو الإقامة بها دون أي مشاكل ، تزوج أبي من يمنيه الجنسية أيضا التي هي والدتي وعاشوا حياة طبيعية ، وجئت إلي الدنيا عام 1984 وبدون وعي كبرت في أبو عريش ولم أعرف تفاصيل الحياة كثيرا . .

والدي يعمل بتركيب الستائر وصناعة الأثاث مثل المجالس العربية

والدي معروف هنا في أبو عريش ، والمدينة وقتها محددة التضاريس والمعالم ليس كما هي الآن ، فقد كانت مختفية عن نفسها ، مجرد شوارع محدودة ومساكن قديمة ومحلات بسيطة وسوق كبير

لذلك كان الجميع يعرفون بعضهم البعض دون أدني مشاكل حتى وصلت المشاكل إلي بيتنا وبيوت كل من يحمل الجنسية اليمنية

يبدو أن صدام حسين تآمر علينا بدون قصد وبطريقة غير مباشرة عندما احتل الكويت عام 1990وتحالفت معه دولة اليمن ، فكان الرد السياسي السعودي هو أن يتم تهجير كل من هو يمني !

وكما رأينا مشاهد هروب الكويتيين والمصريين وغيرهم إلي الدول الأخرى ، كنا نهرب جنوبا إلي اليمن ، وكانت تلك هي المرة الأولي التي أسافر من دولة إلي دولة وكأنني كنت في سُبات عميق واستيقظت واعيا مدركا ما الذي يجري حولي

لأول مرة أري الصحراء التي لا تنتهي أطرافها ، وكأنها نذير شؤم بأننا ذاهبون إلي اللا منتهي ! ، رأيت شمسا أخري غير التي كنت قد تعودت عليها ، رأيت ضياع وهروب في أرض التيه ،

الكل قلق ومترقب وخاصة والدي ، ماذا سيفعل في اليمن ؟و أين سنعيش ؟ وليس لدينا أي أموال أو منزل أو أصدقاء أو معارف

كان المجهول قد فتح ذراعيه لاحتضاننا ، وضمنا إلي صدره وأَبَي أن يتركنا، إلي هذا الحد المجهول يفتقدنا ؟ لا أعلم

وصلنا إلي اليمن وأدركنا بلدة نائية لا أذكر أي اسم لها غير أنها قريبة من مدينة من مدن اليمن الكبرى اسمها " الحُدَيِدَة " ، مقارنة بـ أبو عريش فهذه مقطوعة عن العالم الحضاري ، كانت بلا كهرباء، ولم يتذمر أهلها وكأنهم لا يعلمون بهذا الاختراع !

الليل يقتحمنا فجأة دون أن ينبهنا ، وتصير الحياة الليلية سوداء مظلمة ، والتي زادت سواداً وكآبة هي معاملة جدي (والد والدي) وعرفنا القصة وهي أن والدي رفض العمل باليمن عندما كان شاباً صغيراً وهاجر إلي السعودية مثل باقي شباب جيله ولم يكن جدي في حالة رضي لهذا السفر ، لقد خشي جدي من عدم انتماء الأحفاد لليمن ، هل تذكر حديثك بشأن الانتماء ؟ اعتقد انك متشابه معه في هذه القضية ، الانتماء للوطن ، ، فهل مازلت على رأيك ؟

ظن جدي أن هذا عقاب إلهي له وأن الدائرة تدور ويعود المغترب إلي وطنه مهما طال الزمن

بدأت أسمع كلمات جديدة مثل كلمة " مغترب " ،إننا لم نكن نشعر بأي غربة في السعودية على العكس فقد شعرنا بهذه الغربة في اليمن ،في وطني !

أتذكر يا صديقي عندما تحدثنا عن الوطن ،عزيزي المصري لو كنّا قد تقابلنا في تلك الفترة وسألتني عن وطني سأجيبك :

لا تسألني عن وطني

ولكن اسأل

إلي أي مدي ينتهي حدوده ؟

فالحدود التي رسمتها بالطباشير على السبورة

والتي رسمتها بالقلم الرصاص على الورق

قد تلاشت مع الزمن

لم ندرك ما الحل ؟ جدي غاضبا من والدي ، أقمنا في بيت غريب وعجيب ، بلدة بلا حياة معاصرة ، عمل والدي ليس متوفرا في هذه البلدة البعيدة عن التحضر ، فلا أحد يعرف شيئا عن الستائر

وأشهر والدي إفلاسه بسرعة عجيبة ، وكنا على موعد آخر مع كلمة جديدة وهي "الفراق" ، لابد أن يفارقنا والدي ويغادر اليمن ويذهب للسعودية مرة أخري وخاصة بعد أن وضعت الحرب أوزارها في الشمال بين

العراق والكويت أو بين العراق و قوي التحالف وحدث ذلك في الجنوب أيضا بين جدي ووالدي وكما حدث الانفصال السياسي بين الدول العربية حدث نفس الانفصال بين والدي وجدي ، وهجرنا والدي ودخل المملكة السعودية بطريقة غير شرعية وكأنه صدام حسين أثناء احتلاله للكويت ، سافر ليلا مختبئا من ظلام المجهول ، وعاد إلي أبو عريش ، وبقينا مع جدنا وهو في حالة مختلفة من الضجر والشفقة ، القسوة والرحمة

كنت على موعد جديد مع التعليم ،والتحاقي بالصف الأول الابتدائي ، وعرفت أننا في اليمن السعيد ، وخاصة في اليمن الشمالي وعاصمتها " صنعاء " ،وعلمت فيما بعد أنه يوجد اليمن الجنوبي وعاصمتها " عدن " ، كان من الغريب أن تكون اليمن وصفها بالسعيد وهي منقسمة إلي شمال وجنوب فهل أسرتي ستكون أيضا سعيدة ونحن منقسمين ،والدي في دولة ونحن في دولة أخري ؟

هل السعادة في الفراق أحياناً؟ ما هي السعادة ؟

أتذكر عندما تناقشنا في هذا الأمر وقلت لي : إن السعادة في وطني

هل حقا سعادتك مازالت في وطنك يا صديقي المصري ؟

كانت لدي رغبة في العودة مع والدي والتعليم في وطني

ما هذه الرغبة التي فصلت الروح عن العقل

روحي مع والدي

وعقلي في وطني

وأنا في شتات إنساني عجيب

الألم

الرسالة الثانية

لم تجب يا صديقي على سؤالي الذي سألته ولكنني علمت الإجابة عندما عرفت أنك غادر وطنك مرة أخري وسافرت ، هكذا الحال

دعني أسالك أسئلة أخري : لماذا العرب مشتتون في كل بلاد العالم غير أوطانهم ومستقرون بها ؟ ألم يحدث هذا التشتيت لبني إسرائيل في أرض التيه ؟ ولماذا لا يعودون ؟ ولماذا يفنون شبابهم وطاقاتهم وصحتهم في بلاد غير بلادهم ؟ وعندما يمرضون ويوهن العظم منهم ويشتعل الرأس شيبا يعودون بلا طاقة ولا حيوية ولا أمل ؟ من سيبني الأوطان العربية إلا بسواعد شبابها " العرب " ؟

اعتذر منك لأنني حقا غاضبا وأعلم أن الإجابات لن تفيد . .

فلنكمل . . التحقت بالمدرسة المرحلة الابتدائية ، ويبدو أنني كنت ذكيا قليلا عن باقي التلاميذ ، قاموا بعمل مسابقة غريبة من نوعها والفائز فيها سيصعد للصف الثاني الابتدائي في النصف الثاني من السنة الدراسية ، هل تدري ؟ لقد حصلت على المركز الأول !

كانت الطاقة التي تملكتني هي أن أثبت لأبي أنني طفل يُعتمد عليه ، ولأول مرة أشعر أنني في وطني الذي يهتم بأبنائه ، السعادة في الوطن هي أن

يهتم الوطن بأولاده ، فرحت العائلة الصغيرة بهذه القفزة الغير متوقعة ولعل هذا خفف عنّا " ألم " فراق الوالد عنّا .

أخي الأكبر " جمال " أتذكره ؟ نعم هذا الذي أقام حفل عرس وجمع أموالا منه ولم يكن هناك زواجا من الأساس (نصب واحتيال)

أخي مرض مرضا غريبا لم نسمع به بسبب الحالة النفسية السيئة وسوء التغذية ولازمه ستة أشهر ، ستة أشهر من الألم والمعاناة ، ستة أشهر على سرير المرض ، لم نجد اهتمام من عائلة أبي ، لقد أحاط بنا الفقر الغذائي والمادي وطوقنا وعصر أجسادنا وكرهنا وجودنا في وطن توافر لديه عوامل الطرد وليس فيه أي عامل من عوامل الجذب .

مع الأسف . . . ليس للفقير وطن .

وقعنا في فخ الأمراض وسقطنا واحد تلو الآخر وزادت عدد الأسرّة بالمستشفي .

كانت الأيام ثقيلة على أرواحنا ، العجز أصابنا في مقتل وازداد الألم وكشّر لنا عن أنيابه ، فقر ومرض ، لا أهل ولا عائلة ، أهذا وطن ؟

إنه رقعة أرض يظن أنه ينتمي لكوكب الأرض ، بعد سنوات بعيدة مستقبلية من هذه المشاعر الكئيبة قرأت أن " المسلم لا وطن له " ، ثم أنا وإخوتي وُلدنا بالسعودية فلماذا نعيش باليمن ؟ أليست الجنسية بمكان الميلاد ؟

مرت سنة كاملة بلا أي اتصال مع والدي الذي قطع حبله السري بوطنه وأوصله بوطن آخر ليحصل على غذاءه الجسدي والروحي والعقلي والمادي ، لماذا لا نفعل مثله إذن ؟ ونقطع أحبالنا السُرية ونوصله ببلد آخر . . نريد الحياة

لم نتعود على هذه الطبيعة الغير رحيمة ، كنت أظن أن خيوط أشعة الشمس الذهبية تتبخر قبل أن تصل إلي بيتنا بالتأكيد كان يحدث لأن الظلام أحاط بنا نهارا كما هي عادته ليلا

فزعنا جميعا من طرقات قوية على الباب . . من ؟ فتحنا الباب ليظهر شخصا لم نر وجهه ، حتى تقدم للأمام رويدا فكان هو . . والدي

سبقتنا عَبَراتنا وأغرقت المكان فقد كانت سفينتنا على وشك الغرق فرمينا أنفسنا ولطمنا مياهها وقمنا بالسباحة لنصل إلي شاطئ النجاة والذي وقف عليها والدنا الحبيب

ضمنا والدنا بحب وحملنا على عنقه وأخبرنا بأننا سنعود للحياة مرة أخري في السعودية فهو قام بتحضير كل شئ وسنواصل حياتنا هناك .

هل تتذكر يا صديقي العزيز فرحتك بخروجك النهائي من السعودية وأنت عائد إلي وطنك ؟

هكذا كنّا رغم أن الذي حدث هو العكس ، إننا سنخرج من وطننا . . يا للعجب !

وقبل السفر اصطحبني والدي إلي مدينة الأحلام بالنسبة إليّ ، ذهبنا إلي " صنعاء " ، كان على موعد مع صديق له هناك ليرد له أموال قد اقترضها منه أثناء " النكسة الاقتصادية "

سافرنا يا صديقي إلي صنعاء العاصمة ، ورأيت الحياة ، سيارات ، أضواء ، كهرباء ، مدينة لا تهدأ إلا ليلا ، ميدان التحرير ولكن بدون مظاهرات ، دبابة في وسط الميدان محاطة باثنين من العساكر للحراسة ، علمت من والدي أنها رمز للثورة اليمنية ، كنت أسير مع والدي وكأن عيني عدسة ألتقط صورا فوتوغرافية للعاصمة واحتفظ بهم في ملف في ذاكرتي ، هذا شارع جمال عبد الناصر ، وهذه ملاهي بها العاب للأطفال وهذه مدرسة ابتدائية اسمها " الوحدة " و في الناحية الأخرى مكتب بريد لإرسال واستقبال الخطابات الورقية ، هيا سنعبر الشارع إلي " باب السَبَح " إنه شارع كبير وسوق أيضا

رأيت مباني ذات طابع معماري خاص ولونها بني وأبيض ، وهي عبارة عن مبني متعدد الطوابق بشكل رأسي ، محلات تجارية ، محل كبير يبيع الفستق واللوز والزبيب ، أشم رائحة غريبة إنهم يسلقون " الجراد " ويأكلونه !

شعرت بالاشمئزاز لا أعرف لماذا ؟

رأيت خدود منتفخة من جانب واحد وسألت عن هذا أجاب والدي : إنهم يخزنون نوع من النباتات اسمه " القات " في فمهم من العصر للمغرب ، لم أفهم وقتها ما هو " القات " ولماذا يخزن في الفم ولماذا لا يؤكل من الأساس ؟ ولكنني عرفت مستقبلا ، أن سيكون له دوراً محوريا في حياتنا بعد عدة أيام

مازلنا نسير بالشارع إلي نهايته ورأيت شيئاً غريباً ، حفرة كبيرة أشبه بمجري نهر النيل عندكم بمصر ولكنه كان جافا في هذه اللحظة وأخبرني والدي أن هذا مكان لتجميع مياه الأمطار حتى يستخدمون المياه للشراب والغسيل وهكذا .

وأخيرا وصلنا لبيت صديق والدي وجلسنا بالغرفة العلوية في المبني العجيب الذي رأيته فقد صعدنا على سلالم خشبية وكل غرفة أمامها شئ من البيت ، مثلا تصعد للدور الأول تجد الغرفة الأولي وأمامها الحمام ثم نصعد لنجد الغرفة الثانية وأمامها مساحة واسعة تم تخصيصها للمطبخ ثم نصعد إلي الأخيرة لتكون المجلس وبجانبها باب السطح ! أليس المفترض أن يكون العكس ؟

ولكن هذا الترتيب العشوائي منحني فرصة ذهبية لأفتح باب السطح وادخل فيه ، كان عبارة عن متر × مترين ، ويستقر فيه خزان المياه مثل الذي نملكه في السعودية غير أنه من الصاج .

كنت أستنشق هواء العاصمة من أعلي وفرصة أخري لكي أتأمل السوق والذي ظهر منحنياته وتعرجاته الواضحة ، واستدرت لأجد الجبل ، لأول مرة أري جبلا بهذا الشموخ والارتفاع ، ثم لفت انتباهي شئ ضخم يطير فصرخت وجري والدي نحوي فقد ظن أنني أُصبت بدوار وسقطت ، ولكن الحقيقة أنها المرة الأولي التي أري فيها هذا الطائر العجيب

ضحك أبي بصوت عال وقال : إنها الطائرة ، وسيلة من وسائل المواصلات مثل السيارة

سألت بعفوية : وهل سنركبها إلي أمي

قال : لا . . . إنها تطير بين الدول الكبرى

سألت ببراءة : إذن سنسافر بها إلي السعودية ؟

امتعض وجه أبي وبصوت خفت وابتسامة لم افهم لها معني :

إن شاء الله

انتهينا من الزيارة ومررنا بنفس الطريق وبنفس المحلات ولكن دون سؤال ، فقد قررت أشبع عيوني بالرؤية أكثر

عدنا إلي البلدة التي لم اعرف لها اسم إلي الآن ولم أحاول مستقبلا أن أسأل ، عدت وأنا أفكر في الطائرة ، وكيف تطير ؟ وكيف الناس بداخلها؟

هل يجلسون أم يقفون ؟ وأين "موقف" الطائرات ؟ بالتأكيد له مكان خاص بتجمع الطائرات مثل السيارات، نمت وخيالي يقوم ببناء طائرة ونسافر بها إلي أبو عريش

الخوف

الرسالة الثالثة

ذات يوم سألتك : لماذا تركت وطنك ؟

أجبت : لأبحث عن مفهوم الصداقة

سألتك مرة أخري مستنكرا : أمجنون أنت ؟

أجبت بلا مبالاة : لا . . ليست بي جنّه

سألتك بدون ملل : سأصبر ، وماذا وجدت ؟

أجبت : أعددت خطة مُحكمة لأخسر أكبر عدد ممكن من الأصدقاء فأنا أشد الحاجة إلي معرفة من هو الصديق الحقيقي وكان لابد من التجربة لأصل للمفهوم الجديد لمعني الصديق ، ماذا وجدت ؟

وجدت أن الصديق هو الذي لا يشارك في أفراحك ولا أحزانك فهذه مجاملات إنسانية ، إنما الصديق الحقيقي هو الذي يؤمن بك أنك إنسان له دور إيجابي في الحياة ويساعدك علي أداؤه ، لقد اغتربنا يا صديقي في وطننا وعشنا سنوات نبحث ونتألم من مفهوم الصداقة الخاطئة ، والتي ارتبطت دائما بالمصلحة .

تذكرت هذا الحوار أثناء تدويني لهذه السيرة القصيرة من حياتي ، أن أفتح دواليب غير مرئية داخل أعماق نفسي لأجد شخص جديد موجود ومستعد الانطلاق ، مثلما انطلقنا في الماضي

حزمنا أمتعتنا وأعدنا ملابسنا وأغراضنا إلي رحم حقائب السفر ، فالولادة ستكون في السعودية ، لأنها ليست ولادة طبيعية ، فالولادة ستكون بعملية قيصرية .

كان العبور إلي الأراضي السعودية عن طريق الطائرة مستحيلا ، ليس لدينا جوازات سفر وليس معنا تأشيرة دخول للمملكة ، لذلك كان لابد أن ندخل إلي المملكة براً وليلا ونقتحمها ونحتلها ونقيم بها ، وهذا أسوأ ما في الأمر .

لا أعلم سر الفزع الذي رأيته على وجه والدتي ، ولا أدري لماذا هذه الملامح المتجمدة على وجه والدي ؟ سمعت كلمات خافته تصدر من أبي وأمي ، والنداء " يا رب " في مقدمة هذه الكلمات ، آيات قرآنية تُقرأ ، واسترعي انتباهي هذه الآية " وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ " ، ما الذي يخفوه عنّا ؟

رغم الفرح الذي اعتلاني إلا أن قلبي الصغير انقبض من الظلام الحالك و الكلمات والعبارات الغير مفهومة ، لم يكن هناك قمر يضيء لنا الطريق ، كأننا خرجنا من المجهول لندخل في مجهول آخر

مرت ساعات ثقيلة لا أستطيع أن أحصيها ، ووقفنا عند الحدود ، كانت نقطة تفتيش ، ألقي والدي السلام على من فيها ، وعبرنا

تنهدت أمي بارتياح ، وبدأ وجه أبي يتغير والجمود الثلجي أخذ في الذوبان تدريجيا ، ودخلنا إلي الأراضي السعودية بسلامة وأمان وكلمات الشكر والحمد لله تغمر فمي والدي ووالدتي

مستقبلا عرفت ما الأمر ؟

الحقيقة لقد دخلنا المملكة بجواز سفر مختلف عن كل وثيقة مرور في العالم ، كانت الوثيقة الرسمية هي " نبات القات " الذي يُخزن في الأفواه ، والذي أتي به السيد الوالد من صنعاء وأعطاها لأحد حرس الحدود للمرور ، أنت تعلم ماهو نبات القات ، لا داعي للشرح . .

دخلنا الدولة الشقيقة بشكل غير نظامي ، تهريب بمعني أدق ، مجهولين بمعني واقعي . . . هل تذكر " المجهولين " يا صديقي ؟

المجهول اليمني : هو من يمر عبر الحدود السعودية ـ اليمنية بدون تأشيرة دخول ويبقي بدون هوية أو إقامة ، ولهم أماكن معروفة للتجمع وهي " المقابر " التي ينامون فيها ليلا ويتشبعون بالموتى وتموت قلوبهم ، ويظهروا نهارا لكي يعملوا بأي حرفة أو يصيروا وبالاً وبلاءاً على الناس ويسرقوهم وينصبوا عليهم ، المهم تلقي الشرطة القبض عليهم ويستولون على كل

أموالهم ، ويلقوا بهم في غياهب السجون حتى يتم الترحيل عند الحدود ليعيدوا الكرّة مرة أخري بدون يأس !

قلت لي ذات مرة أنها تُدعي الهجرة الغير شرعية مثلما يفعلها بعض الشباب المصري ليعبروا البحر إلي إيطاليا ، والقدر قد يكون كريما معهم ويتحولوا من " مجهولين " إلي " معلومين " ويصبح لديهم كفيل وعمل وراتب

أنت تعلم جيدا أن هناك من هؤلاء المجهولين من يلقي حتفه في الصحراء لسوء التغذية وقلة الرعاية الصحية ، وهناك أسر كاملة تعيش هنا بهذا الشكل الغير نظامي ، الشباب يعملون بالحرف المهنية والأمهات يعملن خادمات للبيوت وما خفي كان أعظم .

هل نحن من ضمن هذا التصنيف ؟ لم نكن ولن نكون

الميزة أن والدي كان معروفا من قبل ، وأعتقد الجميع أننا عبرنا الحدود بشكل شرعي وطبيعي نظرا للثقة في الوالد لذلك لم نتعرض لي متاعب .

ومع ذلك كان الخوف سيد الموقف ، لا نستأمن أحد على أسرارنا وخاصة هذا السر ، فلو تم معرفته فسوف يتم دمار عائلة بكاملها ورميها في التهلكة لا أول لها ولا آخر .

لم ألتحق بالتعليم وعمري الآن ثماني سنوات ، وتمر سبع سنوات عجاف ، مليئة بالخوف وخالية من التعليم أو العمل أو اللعب أو اللهو كباقي الأطفال في هذا السن .

في سن الخامسة عشر سعيت بقوة إلي العمل ، كان يوجد محل لبيع الخضار نشتري منه ما يلزمنا ، وذات يوم كلمت صاحبه عن عمل ، كان شابا وأظنه يكبرني بخمس سنوات تقريبا ، وبسرعة عجيبة سألني عن اسمي وجنسيتي ثم قال : هيا ادخل وابدأ العمل

لم أفكر في راتب ، فكرت في أن أتعلم واثبت ذاتي ، فأنا الآن أعمل بالتجارة ومساعدا لتاجر خضار

تعلمت القليل من فن البيع وفن التعامل مع الجمهور

والكثير من الصمت بعد ذلك

فقد فشل المشروع والمحل أغلق

وابتلعني الخوف مرة أخري داخل أحشاءه ، الحياة والإقامة الجبرية أضافت بند جديد إلي رصيدي وهو الفشل

ما الحل ؟

الحياة أصبحت بلا رغبة

والخوف سيطر عليّ

والألم زادني وجعا

هل هذه حياة ؟ كان لابد من تغيير الطريقة

﴿ أن تعيش في الحياة بدون رغبة أو خوف أو ألم

بذلك تكون قد فقدت جزءاً كبيراً من إنسانيتك

وفي تلك الحالة لن تفكر إلا في نفسك فقط ﴾

نفسي

الرسالة الرابعة

صاحب محل الخضار هو نفسه صديقك الذي تحبه في الله . . أخونا " طلال " ، بعد الفشل الذريع والسريع للمشروع ، اتجه بسيارته إلي الشوارع والحارات لتصبح مشروع تاكسي ، ولكنه ظل يفكر في المحل فهم مِلك لهم ولأسرته ولابد للمحل أن يفتح أي مشروع مُجدي لأنه باب رزق للعائلة ، والده متوفي ولديه أخوات فتيات ووالدته مازالت حيّة ،وكل أخوته الشباب يعملون طلبا للرزق، الكل يسعي في كل اتجاه لكي يعيشوا بكرامة

وطرقت باب الخروج من هذا المأزق ، فكرت في نفسي وفي مستقبلي وفي حياتي ، لماذا لا نتعلم الستائر وكيفية تركيبها وصناعتها ؟ طلبت من والدي أن يدربنا وان نعيش في جلبابه

وبالفعل استقبل "طلال" الفكرة بحماس زائد واستوعبنا الأمور في أسابيع قليلة وبدأنا النشاط الجديد

هل تذكر حديثك معي بشأن العمل الحر ، وقلت لي بالحرف الواحد : " إنك لن تكون حرا إلا لو عملت عمل تحبه وتحتويه وليس مجرد وظيفة وهي تحتويك " ، بالطبع قبل فتح المشروع لم تكن موجودا ولكن ما فعلناه هو التأكيد العملي لكلام قلته أنت نظريا

بعد عدة سنوات أصبحنا اسما معروفا ، ووقتها قابلناك بعد أن تم استقدامك من مصر وسكنت بالمنزل المجاور لنا وأصبحت جارا عزيزا على قلوبنا وأخا فاضلا ، فالمحبة كانت لله ولم تكن بيننا أي مصالح .

رأيتني ذات يوم أحمل قناعا عابسا مظلما و ارتديته فوق وجهي وأجلس بجسدي ولكن روحي لم تكن معي ، أتدري لماذا؟

طلال فكر في أن يطور المشروع ويبيع أواني خزفية كبيرة الحجم وذات أشكال مبهرة ومميزة تُوضع بجانب الستائر كنوع من الديكور

هذا أسعدني جدا ولكن المحزن في الأمر أنه سيسافر إلي اليمن لإحضاره . . هل تعلم طلال سيذهب إلي وطني في حين عدم قدرتي على ذلك .

أمستعد للمفاجأة الكبرى ؟

تخطي عمري وقتها العشرين عاما وانفطر قلبي وتمزق لأنني لا أستطيع أن أذهب إلي أي مكان في العالم ، فأنا ممنوع من السفر ، لأنني بلا هوية ولا إقامة ولا جواز سفر ، فأنا مازلت مجهولاً

هلال لم يكتمل نموه . . . سمعتك وأنت تفكر وتسأل بصوت عالي لماذا؟

لأنني بلا شهادة ميلاد !! وتلك هو نواة المشكلة الحقيقة التي كبرت بها وتشعبت دون التدخل في وقف نموها الخبيث

ولهذه قصة . . . اقرأها جيدا :

بعد ولادتي بأيام قليلة تُوفي أخي الذي يكبرني بثلاث سنوات ، كان اسمه " محمد " وله شهادة ميلاد ، فقال أبي : هذا محمد ،وأشار إليّ وبالتالي لن يستخرج شهادة ميلاد باسمي ، لا أعلم ما الذي فكر فيه ولا أعلم لماذا ؟ هل الحزن على فراق ابنه جعله لم يفكر ؟ هل خاف من شئ ما ؟ هل هو اللاوعي ؟ لا أدري

المهم قاموا بدفن أخي دون استخراج شهادة وفاة ، كان الأمر غريبا وعجيبا ولم نعلم له سببا حقيقيا

السؤال الأهم : إذا كان هناك شهادة ميلاد حقيقية لماذا لم يستخدموها مستقبلا ؟

الإجابة ببساطة أننا بعد ما سافرنا إلي اليمن بعد العدوان العراقي على الكويت ، ضاعت هذه الأوراق ورسميا المفروض أننا نعيش في اليمن ، وبعد العودة الغير شرعية لن نستطيع البحث عن أي دليل على وجودنا لأن هذا سيفتح علينا نارا ستلتهم الأخضر واليابس ونفترق إجباريا مرة أخري لذلك حُكم عليّ بالسجن الأبدي والإقامة الجبرية وأن احمل لقب " مجهولا "

هل تدري أنه من الممكن أن أسافر إلي اليمن واستخراج كل ماهو مطلوب ، ولكن لم يكن لدينا أموال السفر فوالدي كبر في العمر وألقي بمسئولية البيت على كاهلي وأكتاف أخي .

كنت أريد معجزة حقيقية ، سأذكرك بشيء عزيز على قلبك

هل تذكر الليالي العشر الأواخر من شهر رمضان ، كنا نذهب سويا لنصلي صلاة القيام في مسجد بعيد عن منازلنا نوعا ما لتسمع حلاوة وعذوبة تلاوة القرآن الكريم الصادرة من الحنجرة الذهبية لإمام المسجد ، هذا الإمام يمني الجنسية ، جاء إلي السعودية بحثا عن الرزق ولأن لديه شكل مقبول سألوه عن أي حرفه يحترفها

فقال : إنني حفظ كتاب الله وصوتي جيد في تلاوة القرآن الكريم

سمعوه وأحبوه وبفضل الله أولاً وأخيراً ثم بفضل كتاب الله ، أصبح له شأنا كبيرا ، وتولي إدارة المسجد وكفله أحد السعوديين المحترمين وبذلك أصبح " معلوما " لدي الجميع

أليس لي معجزة مثل هذه ؟

أنا بلا شهادة ميلاد ولا إقامة ولا أموال ولن أتزوج

بقيت على هذا الوضع حتى وصلت إليّ المعجزة الربانية

أصبح عمري الآن تسعة وعشرون عاما ، وكان قراراً من الحكومة السعودية أن أُولد من جديد

المعجزة

الرسالة الأخيرة

أتذكر عودتنا من المقابر بعد أن دفنا أحد المغتربين والذي مات دون أن يودعه أهله وبعد مغادرتنا من عظة الآخرة ودنونا من الدنيا

سألتك : يا مصري ، كفي بالموت واعظا . . ولكن لماذا لا نتعظ ؟

أجبت عليّ بكل ثقة ممزوج بغضب :

لأن لابد من التجربة أولا . . لابد أن نتذوق سكرات الموت حتى نتعظ ، الماديات أصبحت من مكونات الدم الذي يجري في عروقنا فكيف نتعظ؟

لماذا أذكرك بهذه القصة ؟ لأن لابد من التجربة الواقعية حتى أتحرك وقبل أن تسقط حياتي المستقبلية في غياهب الظلام ، فقد ضاعت سنوات الطفولة والمراهقة وفترة الشباب الأولي في غياهب الألم والرغبة والخوف والضياع ولولا أنني حافظت على ما تعلمته في المرحلة الابتدائية والتفت إلي التكنولوجيا الحديثة لأصبحت عضوا فعالا في تنظيم الجاهلية

صالحت نفسي ولم ألق باللوم على والدي ، لم أحمل أي ضغينة لأي إنسان ، الظروف كانت أقوي من الجميع والكل مُقيد بأغلال المجتمع والدول ولا يوجد حرية مطلقة

وقد كنت خفاش من خفافيش الظلام ، فلماذا لا أجرب النور ؟

لماذا لا انطلق في الحياة ؟

صدر قرار بالملكة العربية السعودية عام 2013 يفيد بأن كل مغترب أو أجنبي لابد أن يحمل رخصة إقامة وأن المهنة التي يعمل بها لابد أن تكون وفقا لكفيله

بمعني أسهل ، إذا حضر تفتيش من الداخلية وطلب رؤية هويتي أو إثبات الشخصية لابد أن يحمل اسم الكفيل (. . . .) وأن المؤسسة أو الشركة أو المحل الذي أعمل به لابد أن يكون هو صاحبه وإلا . . . ترحيل

كانت فرصه ذهبية ، جمعت الأموال المطلوبة للسفر ، وسافرت إلي اليمن ، إلي صنعاء العاصمة

تغيرت كثيرا يا صديقي ، لم تعد كما كانت منذ أن تركتها من عشرين عاما . وبعد أيام قليلة ، استخرجت شهادة ميلادي ، هل تعلم ؟ بكيت بحرقة ، حملت ورقة موثقة من الحكومة اليمنية وكأنني أحمل ابني حديث الولادة بين ذراعي ، لقد وُلدت قبل الثلاثين من العمر ، اسمي هلال ، أحمل الجنسية اليمنية ، واستخرجت إثبات شخصي ، وجواز سفر ورخصة قيادة و تأشيرة لدخول السعودية بمهنة محترمة وكفيل سعودي وراتب ثابت

وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا

في نهاية رسالتي ، وبعد تجارب نفسية وصراع حقيقي مع الحياة ، ألخص لك ما خضته :

أن الحياة لابد من ألم ورغبة وخوف حتى تعرف نفسك جيدا ،

وان الهلال لا يُولد إنما يظهر ويكتمل ويصير بدراً ، ثم يتناقص ويتواري ويصبح قمراً مُظلماً ولكنه موجود حتى يظهر من جديد

إنها سُنة الحياة ومهما ضاق بك الحال وتغيرت عليك الظروف تذكر أن ...الهلال لابد أن يكتمل حتى لو أحيط بالغيوم من حوله

نبذه عن الكاتب

- تامر محمد عزت
- كاتب مصري

من مواليد فبراير 1979

دكتور صيدلي

خريج كلية الصيدلة جامعة طنطا 2001

أعماله الأدبية :

- **فريدة وقصص أخري** . . . نشر الكتروني (عصير الكتب)2014
- **رواية الحائر** . . . . دار ذات للنشر والتوزيع 2015
- **نبضات فكرية** . . . . . . مقالات وخواطر . . . نشر الكتروني 2014
- حاصل على المركز الثاني في مسابقة القصص القصيرة التي أعدها جروب عصارة الأفكار

عن القصة : **الجندي والقائد** ونشرت مع مجموعة قصص أخري لفائزين آخرين بعنوان " **قصاقيص** " عن دار قلمي للنشر والتوزيع